مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

طبيعة المنهج الفلسفي

The nature of the philosophical method

د. عبد المجيد علي التقاز
كلية الآداب جامعة الزاوية
Bdamjydaltqaz@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

طبيعة المنهج الفلسفي
The nature of the philosophical method

د. عبد المجيد علي التقاز
كلية الآداب جامعة الزاوية
Bdamjydaltqaz@gmail.com

ملخص:

اقترنت عقائد الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة الطويل بمسألة الإقناع والاقتناع، رغم أن شرط الإقناعية اكتسى عندهم عدة مظاهر تتراوح بين الخطاب الاستدلالي المنطقي الرياضي، والخطاب التأملي الذاتي، والخطاب الشعري الاستعاري، والخطاب الحواري الجدلي المبني على تقنية المناظرة.

لذا استعمل الفلاسفة وعلى مر العصور عدة مناهج، للوصول إلى معرفة هذا الكون وتفسيره، واتخذوا في ذلك عدة طرق، ولا يعني تعدد المناهج أنها تتخذ جميعاً لنفس الغاية، فهي تتنوع حسب مقاصد الفيلسوف ومراحل تفلسفه، لذلك أردنا أن نوضح في هذا البحث طبيعة المنهج الفلسفي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة – المنهج – المعرفة.

The nature of the philosophical method

Abstract

Philosophers' beliefs were associated throughout the long history of philosophy with the issue of persuasion and persuasion, although for them the condition of persuasion took on several aspects ranging from mathematical logical deductive discourse, self-reflective discourse, poetic metaphorical discourse, and dialectical discourse based on the technique of debate. Therefore, philosophers have used, throughout the ages, several approaches to reach knowledge of this universe and its interpretation, and they have taken several methods in that, and the multiplicity of approaches does not mean that they are all taken for the same purpose, as they vary according to the philosopher's intentions and the stages of his philosophy, so we wanted to clarify in this research the nature of the philosophical approach.

Keywords: philosophy - method - knowledge.

مقدمة:

الفلسفة أو الخطاب الفلسفي دائما يفترض وجود علاقة بين الذات واللغة الفلسفية بنصوصها النظرية وتجلياتها الواقعية، فالفلسفة في جوهرها تمتلك خطاباً قوياً تتحدى به كل ما يعيق الفهم، ويضلل المعنى، وتذلل بمقتضاه ما ينسب إليها من تهم تحملها مسؤولية التجاوز والمفارقة.

ولم يفتأ الفلاسفة يتبعون منهجاً أو طرائق في النظر والبحث، ويجب على كل فيلسوف أو كل مذهب فلسفي أن يكون قادراً في كل دعوى يعبر عنها على الإدلاء بحججه، وأن يجيب فقط بأسلحة العقل على كل الشكوك والأسئلة التي توجه له، وقد سعى الفلاسفة في ذلك إلى الاستدلال عليها أو الإقناع بها.

وهكذا يتطلب من كل مذهب فلسفي تبريراً عقلياً، ويتحتم عليه تقديم الدليل على صحة موقفه، وهذا يرتبط بالطريقة التي يسلكها أو المنهج المستخدم في ذلك، فطريقة التفلسف هي التي تسمح بمعرفة قيمة الأفكار الفلسفية وتفسيرها وتبريرها، وفي هذا تتضح أهمية هذا الموضوع وأهدافه.

ولهذا لغرض استعنا في بحثنا بالمنهج التحليلي، والذي يصف لنا طبيعة المناهج المستخدمة في تفسير الوجود والمعرفة أو البحث عن الحقيقة، ولقد قُسم البحث منهجياً إلى عدة فقرات حاولنا فيها توضيح المناهج المستخدمة في الخطاب الفلسفي دون التقيد ببيان طرائق التفلسف أو أصناف الكتابة الفلسفية، لأن الفكر الفلسفي كفكر هو في جوهره مناقشة ومجادلة بالعقل أو تبادل للحجج، وإذا ما أردنا تعلم الفلسفة علينا الالتزام بهذه المحاور.

1) بيان المناهج الفلسفية:

المنهج أو المنهاج الفلسفي هو ما سلكه الفلاسفة من طرائق في الاستدلال على نظرياتهم ومحاولة الإقناع بها، ولكن السؤال هو: كيف يمكن أن نتعلم أو نعلم الفلسفة ؟ وكيف لنا التفلسف؟

وللإجابة على ذلك، فإن بعضهم اهتم بهذه المسألة، أي مسائلة المنهاج الفلسفي، فاتخذ بعضهم الجدل والحوار وسيلة للإقناع، وسعى بعضهم للاستدلال والإقناع بواسطة فن الخطابة ... الخ قديماً نظر أرسطو وأتباعه لغاية العصر الوسيط إلى الفلسفة كعلم، ولا تختلف الفلسفة إذاً في مناهجها أو فيما ينبغي أن تتخذه من مناهج عن العلم.[1] وقد يشي من هذا التصور في الاتجاهات الحديثة في الفلسفة.

فكلاهما – الفلسفة والعلم – يخاطبان العقل البشري، ولا تتميز الأفكار الفلسفية عن الأفكار العلمية، إلا من حيث أن الأفكار الفلسفية مدعمة بحجج اقوي.

وهكذا يتطلب كل منهج فلسفي تبريراً عقلياً، ويتحتم عليه، كما قال جون دوي "أن لا يقتصر على الأخذ بدرجة معقولة الاتساق الجدلي بين أجرائه الداخلية ، بل لا بد له كذلك من مواءمة نفسه مع بعض أوجه المناهج وشروطها".[2]

لذلك ظلت جميع الفلسفات ذات النمط الاستدلالي، تعتبر نفسها دائماً ملزمة بتقديم الدليل على صحة موقفها من الواقع.

ومن ضمن شروط التفلسف، تحرير عقل الإنسان من كل الأحكام السابقة، أي الأحكام القائمة على أسس غير كافية، وهي أحكام حصل عليها المر كما يقول ديكارت من الحواس أو بواسطة الحواس.[3] وهي الأمور التي تعلمها من والديه ومعلميه ومجتمعه ... الخ بواسطة حاسة السمع أو غيرها من الحواس.[4]

وقد تبين لنا مما تقدم، أنه يجب على المرء إذا ما أراد التفلسف أن يكون مستعداً للتخلي عن الأفكار السابقة، وأن يتخذ من العقل وحده كما يعتقد بعض الفلاسفة وسيلة للمعرفة الحقيقية،

كما يقول الغزالي مثلاً: "فأما العقل إذا تجرد من غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط، بل رأى الأشياء على ما هي عليه، وفي تجريبه عصر عظيم وإنما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت".[5] وعلى ذلك يقتضي عند تحديد المناهج الفلسفية التمييز بين أنماط ثلاثة للفلسفات:-

الأول: فلسفات تبقى في مستوى التجربة، وتتطلب اتخاذ موقف للفيلسوف سوى كان دينياً أو أخلاقيا يستحوذ على صاحبه، وقد عرف العصر اليوناني هذه الحكمة الفلسفية.

كما يرى بعض الفلاسفة المحدثين أن اليقين الكامل في وجود العالم ووجود الأشياء في العالم، لا يمكن أن يبلغه المرء عن طريق المعرفة وحدها، ولابد أن يدعمها ما يسمى بالتجارب الوجدانية.

الثاني: فلسفات نسقية يدعي أصحابها، مثل هيجل اسبينوزا أنهم يقدمون بصدد العالم نسقاً كاملاً، أي أن مذهبهم يقوم على استنباط الواقع استنباطاً كاملاً وعقلياً.

الثالث: فلسفات أرادت أن تبرز حقيقة الإنسان في هذا الكون، وتتم التعبير عنها بمجموعة من الأفكار المترابطة المتسقة.

وإذا كان النمط الأول خاضعا للتجربة، فإن الآخرين مرتبطين بالمنهاج الذي ينحوه الفيلسوف في النظر والتحليل وسعيه إلى التبليغ، وحرصه على الإقناع.[6]

2) أنواع المناهج:

اقترنت عقائد الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة الطويل بمسألة الإقناع والاقتناع، رغم أن شرط الإقناعية اكتسى عندهم مظاهر عدة تتراوح بين الخطاب الاستدلالي المنطقي الرياضي، والخطاب التأملي الذاتي، والخطاب الشعري الاستعاري، والخطاب الحواري الجدلي المبني على تقنية المناظرة.

لذا استعمل الفلاسفة وعلى مر العصور عدة مناهج، للوصول إلى معرفة هذا الكون وتفسيره، واتخذوا في ذلك عدة طرق، ولا يعني تعدد المناهج أنها تتخذ جميعاً لنفس الغاية، فهي تتنوع حسب مقاصد الفيلسوف ومراحل تفلسفه، لأن الفلسفة في جوهرها عمل جدي: أنها تتقدم بالحوار، بالمحاجة، والمحاجة المضادة.[7]

وهنا وجب علينا التمييز بين ثلاثة أنواع أو مجموعات للمنهج:

أولا: مناهج الاكتشاف أو التعلم:

باستخدام هذه المناهج يرى الفلاسفة أنها الوسيلة إلى اكتشاف الحقيقة، أو معرفة المجهول، أو التعلم كما قال البعض.[*]

1. الحدس

هو إدراك الأشياء في وجودها أو ماهيتها إدراكاً مباشراً غير نظري، ومناهج الحدس لا تكون لغير الاكتشاف، فالحدس ليس منهج إنما هو، كما قال ديكارت هو من أفعال العقل، ودور المنهاج أن يبين لنا كيف نستخدم أفعال العقل لاكتشاف الحقيقة، ولكي لا نقع في الخطأ عند استخدامنا لهذه الأفعال، وقد وضع ديكارت كتاب (القواعد لقيادة العقل) من اجل قيادة أفعال العقل، ومنها الحدس، إلى أن تصل إلى معرفة كل الأشياء.[8]

غير أن اليقين القائم في الحدس يتطلب التهيؤ – كما يرى ديكارت –، والتهيؤ يتم بعدة شروط، منها تجنب السرعة والتهور، وتعويد النفس الصبر والأناة في الأمور العقلية على نحو ما يتم في الأمور الخلقية، وتحريرها من الأحكام السابقة التي تأصلت فيها منذ عهد بعيد، ثم تصفيتها من أحكام الحس والخيال فيما أمكن معرفته بالعقل وحده. أما ممارسة البصيرة، فتتم بفضل الانتباه ومضاعفته حتى يصبح في النفس عادة وطبيعة ثانية.[9]

في حين بعض الفلاسفة، لا يستنجد بالحدس إلا في نهاية المطاف بعد أن يعجز العقل في طرق استدلاله، فلا يلجأ أفلاطون مثلاً إلى الحدس إلا بعد أن يسلك سبيل الجدل، ولا يبقى سوى طريق الحدس.

2. الاستقراء

يعتبر سقراط أول من استعمل منهج الاستقراء بكيفية دقيقة ومستمرة، فالسفسطائيون يستعملون الكلمات، ويعتبرونها أفكارا عامة من غير تحديدها بعناية، فأراد سقراط تحديد المفاهيم المبهمة، واستخدم من أجل ذلك طريقة الاستقراء. ويرمى إلي تكوين المفاهيم، ويحدد منهجه في ذلك بمرحلتين، الأولي: الاستقراء هو تكوين المفاهيم، وينطلق سقراط في ذلك من الحالات الخاصة للوصول إلي الحالات العامة عن طريق القياس. ويستمد معلوماته من الحياة اليومية مثل أن الشعر يقتضي شاعرا، والتمثال نحاتا ...الخ. والثانية: التعريف الكلي وهو الذي يميز به مفهوما ما، ونصل إليه باستقراء عدد من الأمثلة.

وباستخدام هذا المنهج يحاول الفيلسوف الوصول إلي الحقيقة، فالفيلسوف لا يكتفي بدرجة التفكير التي يمارسها المرء العادي في حياته العملية، ولكنه يفحص نتائج الفكر العادي في محاولة للبلوغ إلي وضوح تام، في حين أن الحقيقة في التفكير العادي تكوين أمرا تقريبيا معتقدا، ولذلك تكون قابلة للشك.[10]

ثانياً: مناهج الاستدلال

مناهج الاستدلال أو مناهج البرهان والإقناع، ويشمل على أهم الطرائق التالية:

1. البرهان والبرهان الرياضي

إن ما يميز العلم انه استدلالي، وقد طمح أرسطو للوصول إلى استنباط مطلق، أي نفس الهدف الذي سعى إليه العلماء. ويعني أرسطو بالبرهان القياس الذي يتكون من مقدمات صادقة أولية، والمقدمات الصادقة الأولى التي تصدق بذاتها لا بغيرها.[11] كما بين الغزالي أن مقدمات البرهان المحصل للعلم اليقيني، يقينية صادقة واجبة القبول.[12] وقد نظر ابن خلدون في الاجتماع البشري بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه، وانتقد الرسائل غير المبرهنة كما هي في رسائل ابن المقفع.[13]

كما أن فلاسفة الإسلام اشتغلوا بالرد بعضهم على بعض مثلما، كان في كتاب – تهافت الفلاسفة – للغزالي الذي يقول فيه: "لو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين نقية من التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها".[14]

في حين واجه الغزالي النقد من قبل ابن رشد في كتابه " تهافت التهافت " والذي جعل عرضه بيان مراتب الأقوال المثبتة في كتاب التهافت " في التصديق والاقناع، وقصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان "، وأنها في أعلى مراتب الجدل، ولاتصل إلى مستوى البراهين.[15]

2. الجدل

الجدل أو الديالكتيك هو فن الحوار، وقد استعمل اليونانيون الجدل بمعان مختلفة، ولكن متضمناً دائماً لفكرة الحوار وينحصر هذا المنهج في تقبل دعوا الخصم، على وجه الافتراض، من أجل إبراز تناقضاتها الباطنية. وقد استعمل سقراط هذا الفن ضد السفسطائيين في دحض آرائهم، وفي العصر الحديث استعمله هيجل في إعداد نسق عام لفلسفته، فالجدل يعرف النتيجة التي يجب أن ينتهي إليها، فيبحث عن المقدمات التي تسوغ له ذلك، لأنه خير طريق لإبطال وإقناع الخصم، وهو أن نكشف عن طريق الجدل تناقض آرائه.

إذا الجدل الفلسفي هو تبادل الحجج، والجدال بين الطرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة، ويكون ذلك تحت لواء المنطق.

3. الاستدلال

وللاستدلال عدة أنواع، منها الاستدلال الاستنباطي، والذي يسمي أيضا بالاستدلال المنطقي، والهدف منه الوصول إلي نتائج أو معرفة جديدة بالاعتماد علي معلومات وفروض متاحة تتم عملية معالجة لها، ومن الأمثلة علي ذلك:

كل الرجال أقوياء (معلومات عامة)

محمد رجل (معلومات خاصة)

لذلك محمد قوي

وهذا المثال يوضح طريقة الاستدلال الاستنباطي، وهو الانتقال من العام إلي الخاص، والبرهنة عليه.

والفرق بين الاستقراء والاستنباط في البحث العلمي: ينتج الاستقراء تعليمات واسعة من خلال عدد ملاحظات محدد تعمل علي اكتشاف القوانين، بينما العملية الاستنباطية تقوم علي أن ينتقل الفكر من المبادئ للنتائج عبر عملية عقلية مجردة.

إذا الفرق بينهما هو أن المنهج الاستنباطي يكون الانتقال فيه من العام إلي الخاص، بينما المنهج الاستقرائي يكون الانتقال فيه من الخاص إلي العام

ثالثا: مناهج التبليغ والتعليم

يسعى الناس لتعلم الفلسفة، محاولة منهم لتطهير أرواحهم ومتعة أنفسهم واستنارة عقولهم، إلا أن تبليغها أو تعليمها شيء مختلف، حيث تستلزم بعض المناهج مختصة لذلك منها: (التهيئة، الحوار، الأسطورة).

وهنا تختلف الآراء حول الكيفية التي يصبح فيها المرء فيلسوفا، أو الطريقة التي يتعلم بها الفلسفة، فمنهم من يري الحقيقة الفلسفية، تكون بواسطة التعلم والجد كما هو في كل معرفة .ومنهم من يطالب بالتربية والتهيئة أولا كما هو الشأن عند الفيثاغوريين، الذين يرون في تطهير النفس أولا عن طريق تطهير البدن، ثم يأتي التلقين الذي لا يكون إلا للممتازين في الجماعة.[16]

وتقوم هذه التهيئة في جوهرها على حوار دائم بين العلم والتعلم، حيث قيل إن الفلسفة حوار، ولو لم يكن حواراً لما كانت فلسفة، وقد اكتسي الجدال الفلسفي مظهرين اثنين: مظهر المحاورة الشفوية المباشرة التي تنتهي بالتدوين (محاورات أفلاطون) وقد لا تنتهي به (المحاورات السقراطية)، ومن المأثور أن الفلاسفة اعتمدوا تقنية الحوار طريقة للاقتناع بالعقيدة الفلسفية أو إقناع غيرهم بها.

وسقراط يعتبر أول فيلسوف استخدم الحوار كمنهاج يعتمد علي مسألة المحاورين، يسعي علي اطلاعهم على الحقائق بتوليدها منهم، كما يسعي، من جهة ثانية، إلي جعل الذات المحاورة تكتشف حقيقة محيطها وفق المبدأ القائل: " إن الشيء الوحيد الذي أعرفه تمام المعرفة هو أنني لا اعرف شيئا".[17]

ومن المأثور أيضاً، أن أفلاطون تسلم هذا التقليد الفلسفي من أستاذه سقراط، فسخر الأجل مواجهة الخطابة السفسطائية القائمة علي المغالطة، كما عده رياضة فكرية، وفي هذا يلتقي أرسطو مع سقراط وأفلاطون، حيث قدم أرسطو مجموعة من التعاليم والنصائح تتعلق بكيفية ممارسة الجدل ممارسة منهجية، ولقد ترسخت هذه الرياضة الفكرية في المدارس الفلسفية، كالمدرسة المشائية والأكاديمية الأفلاطونية، وانتهت في العصور الوسطي إلى اتخاذ طابع المجادلة والتعجيز بين المتخاطبين.[18]

إذا، فالحوار هو منهج للتفلسف، وقد اتخذ الفيلسوف لهذا الغرض عدة أساليب، ولكن كان من أبرزها وأقدمها (استغلال الأساطير)، فاللجوء إلي الأساطير في الفكر الفلسفي كان من جملة طرائقه المنهجية، واستعمل الفيلسوف هذه الأساطير لغايات مختلفة، مثل التعبير عن وقائع الأفكار التي يصعب إدراكها، وكصنيعة خطابية لإيقاظ ذكريات قديمة، لإقناع الناس عن طريق حكاية القصص، أي بواسطة الأساطير.

الخاتمة:

الفلسفة عامة هي نشاط روحي وفكري، لا ينفصل فيه العلم والدين والأسطورة وكل متطلبات الحياة والعمل، وتشكل مجموعها وحدة متكاملة، وبالنظر إلى الفلسفة من حيث الأفكار والحقائق التي تتضمنها يقتضي الوصول إلى هذه الأفكار من طرائق عسيرة ومتعددة وتمرينات طويلة، وبالتالي لا نستغرب وجود تهيئة في طرائق التفلسف الطويلة المتشعبة، واتخاذ عدة مناهج يمكن استغلالها واستخدامها للولوج إلى عالم المعاني، فتستنير نفس الفيلسوف بذلك وإن لم يستنر له الكون وأشياء الكون، وما ذاك بالأمر الهين.

إن المنهاج الفلسفي هو ما سلكه الفلاسفة من طرائق في الاستدلال على نظرياتهم ومحاولة الإقناع بها، أو هو ما عدوه طرقاً موصلة إلى اكتشاف الحقيقة أو ما وضعوه من نظريات. وعلى ذلك فالفلسفة لا تحظى بمنهاج شامل يمكن استعماله للبحث عن الحقيقة، ولا يعني تعدد المناهج أنها تتخذ جميعاً لنفس الغاية، فهي تتنوع حسب مقاصد الفيلسوف ومراحل تفلسفه، والنتيجة من كل ذلك لا يتفق الفلاسفة في استعمال مناهج معينة، كما لا يعتمد الفيلسوف الواحد على نفس المنهاج أو المناهج في مجموع فلسفته.

الهوامش:

1. بوخينسكي، مدخل إلى الفكر الفلسفي، ترجمة محمود حمدي زقزوق، مكتبة الانجلو القاهرة، 1973،ص22.
2. جون دوي، المنطق، تحقيق عبدالرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، ص778.777.
3. ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 1951،ص07.
4. المرجع نفسه، ص146.

5. ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود الخضري، دار الكتاب العربي القاهرة، 1968، ص125.
6. الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1،1990، ص22.
7. جون كوتنقهام، العقلانية، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب 1997، ص21.
(*) أرسطو هو أول من نادى بهذه الطريقة أي طريقة التعلم.
8. بلدي نجيب، دروس في تاريخ الفلسفة، دار المعارف مصر، بدون تاريخ، ص75.
9. بلدي نجيب، ديكارت، دار المعرف مصر، بدون تاريخ، ص67-68.
10. محمود حمدي زقزوق، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1982، ص67.
11. أرسطو، منطق أرسطو، تحقيق عبدالرحمن بدوي، دار القلم: بيروت ،1980، ص646.
12. الغزالي، معيار العلم ،تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر 1969، ص186.
13. ابن خلدون، المقدمة، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص37.
14. الغزالي، تهافت الفلاسفة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 1947، ص33.
15. ابن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، 1965، ص60.
16. الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، مرجع سابق، ص144.
17. المرجع نفسه، 144-145.
18. عصام عبدالله، نصوص فلسفية، جامعة عين شمس، مصر، بدون تاريخ، ص19.